لغز الكوخ المحترق



محمود سالم

لغز الكوخ المحترق

تأليف
محمود سالم



لغز الكوخ المحترق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩ ٢٣٢٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

الكوخ المحترق

بدأت المغامرة المثيرة في ليلةٍ من ليالي شهر سبتمبر.

كانت الساعة التاسعة والنصف ليلًا، وضاحية «المعادي» هادئة إلا من نباح كلبٍ في مكانٍ ما، عندما شبَّ حريقٌ ضخمٌ في غرب الضاحية. وكان «محب» يستعد للنوم، عندما رأى الحريق فصاح مناديًا أخته: «نوسة» … «نوسة» لقد شبَّ حريقٌ قريب من منزلنا!

وجاءت «نوسة» مسرعةً ونظرَتْ من النافذة، وقالت: إنه حريقٌ ضخم، هل تعتقد أنه في أحد المنازل؟

ردَّ «محب» في انفعال: لا أدري، هيا بنا نشاهده.

وأسرع «محب» و«نوسة» يغادران المنزل في الظلام، والتقيا في الطريق بـ «عاطف» وأخته «لوزة». واتجه الأربعة إلى ناحية الحريق، وكان عددٌ كبيرٌ من الناس قد اتجهوا ناحيته أيضًا، وارتفعت الأحاديث في الظلام.

– إنه منزل الأستاذ «حنبلي».

– ليس المنزل بالضبط، إنه الكشك الصغير الذي في الحديقة.

وحاول الأصدقاء الأربعة الاشتراك في إطفاء الحريق، ولكن الشاويش «علي» صاح بهم: فرقع أنت وهو من هنا.

وكانت هذه هي عادته كلما رآهم، فسمَّوه الشاويش «فرقع».

وطلب الشاويش «فرقع» من «فاطمة» طبَّاخة الأستاذ «حنبلي» أن تستدعي السائق ومعه الخرطوم الذي يرشُّ به السيارة، ولكن «فاطمة» قالت إن السائق خرج بالسيارة إلى محطة القطار؛ ليستقبل الأستاذ «حنبلي» الذي كان في القاهرة منذ الصباح.

واشتبك الشاويش «فرقع» مع ولدٍ سمين كان يحاول المشاركة في إطفاء النار، فقال الولد السمين: لا تَصِح في وجهي، إنني أساعدكم.

وكان مع الولد كلبٌ أسود ظريفٌ حاول عضَّ الشاويش «فرقع» فأعجب الأصدقاء بشجاعته.

وفي لحظاتٍ سقط سقف الكوخ محدثًا دويًّا، فتراجع الأولاد إلى الخلف، ثم سُمع صوت سيارة قادمة، كان بها الأستاذ «حنبلي» الذي أسرع إلى الكوخ صائحًا: أوراقي الثمينة … كتبي الغالية … مخطوطاتي الأثرية، أنقذوها … أنقذوها!

وأخذ الشاويش يتحدَّث إليه محاولًا تهدئة أعصابه: لا فائدة يا أستاذ، لقد احترق كل شيء، ولكن ألَا تعرف كيف حدث الحريق؟

وردَّ الأستاذ في ضيق: من أين لي أن أعرف، لقد حضرتُ حالًا من القاهرة!

وقال أحد الواقفين: لعلك تكون قد أمَّنت على هذه الأوراق الثمينة يا أستاذ!

فرد «حنبلي»: طبعًا؛ إنها تساوي آلاف الجنيهات، ولكن ما قيمة النقود؟

ولم تكن «لوزة» تعرف معنى التأمين، فشرح لها «محب» معناه قائلًا: إذا كان عندك شيء ثمين تخافين عليه السرقة أو الاحتراق، فهناك شركات تسمَّى شركات التأمين تضمن لكِ إذا احترق الشيء أو ضاع دفعت لك الشركة قيمته كاملة. وذلك مقابل أقساط مالية بسيطة تدفعينها.

وصاح الأستاذ «حنبلي» مخاطبًا الشاويش: أبعد هؤلاء الناس عنِّي، يكفي ما حدث لي.

وتفرَّق الناس أمام صيحة الشاويش المشهورة: فرقع أنت وهو، فرقع.

وتفرَّق الأصدقاء، واتفقوا على اللقاء صبيحة اليوم التالي.

المغامرون الخمسة والكلب

التقى الأصدقاء الأربعة في حديقة منزل «عاطف» في الصباح فقال «محب»: هيا بنا نرى الكشك في ضوء النهار.

قال «عاطف»: هيَّا، وبالمناسبة، سمعت أن مفتش شركة التأمين قد حضر، ومن رأيه أن شخصًا ما أحرق الكشك لغرضٍ في نفسه، وأنه استعمل الجاز في إشعال الحريق.

ورد «محب»: ولكن من هو هذا الشخص؟ لا بد أنه يكره الأستاذ «حنبلي».

عاطف: إنني مشفق على الشاويش «فرقع» فهذه أول مرةٍ يحقِّق في قضيةٍ حقيقية، وأعتقد أنه لن يصلَ إلى حل.

وفجأة صاحت «لوزة»: لقد حضر الكلب.

وفعلًا، كان الكلب قد أسرع إليهم وخلفه صاحبه السمين الذي قال بعد أن ألقى على الأصدقاء تحية الصباح: هل سمعتم ما يقوله الناس؟ إنهم يقولون إن حادث الكوخ مدبَّرٌ بفعل فاعل.

محب: وهل تصدق هذا؟

الولد: الحقيقة أنني استنتجت هذا قبل أي شخصٍ آخر.

فرد «محب» متضايقًا: فشَّار!

الولد: اسمع، إنني أسكن في المنزل المقابل لمنزل الأستاذ «حنبلي»، ومساء أمس شاهدتُ متشرِّدًا يلف حول الكشك، وأظنه هو الجاني. وقد كان يرتدي معطفًا أصفر قديمًا، وطاقية ممزقة، وقد رآه كلبي «زنجر» ونبح.

محب: وهل كان يحمل صفيحة جاز؟

الولد: لا، ولكنه كان يحمل عصا!

نوسة: إنني أفكِّر في شيءٍ ما.

ونظر إليها الجميع؛ فقد كانت مشهورةً بأفكارها النيرة، وقال «محب»: في أي شيءٍ تُفكِّرين يا «نوسة»؟

نوسة: ما رأيكم أن نقومَ نحن بدور المغامرين، ونعرف بأنفسِنا من الذي أحرق الكوخ. إن كلًّا منا يمكن أن يكون مغامرًا ممتازًا.

وسألت «لوزة» الصغيرة ذات الثماني سنوات: ما معنى مغامر!

محب: شخص قوي يحب الحياة المثيرة، ويشترك في حل الألغاز الغامضة.

لوزة: عظيم، إنني أتمنَّى أن أكونَ مغامرة، وأعتقد أنني سأكون ممتازة.

عاطف: إنكِ ما زلتِ صغيرة!

وكادت «لوزة» تبكي لهذا الرفض من جانب شقيقها فقال «محب»: نحن الثلاثة «عاطف» و«نوسة» وأنا سنكون المغامرين الثلاثة الكبار.

الولد: هل أستطيع الانضمام إليكم؟ إنني مفكر عظيم.

محب: إننا لا نعرفك.

الولد: اسمي توفيق خليل توفيق خربوطلي. وأريد أن أتعرَّف عليكم فما هي أسماؤكم؟

محب: «محبوب إبراهيم» وعمري ١٥ سنة.

نوسة: «سنية إبراهيم» وعمري ١٣ سنة.

عاطف: «عبد اللطيف أحمد» وعمري ١٣ سنة وأختي زكية ٨ سنوات.

الولد: إذن أسماؤكم مستعارة، «محب» بدلًا من «محبوب»، و«نوسة» بدلًا من «سنية»، و«عاطف» بدلًا من «عبد اللطيف»، و«لوزة» بدلًا من «زكية»، فما هو الاسم الذي تختارونه لي؟

عاطف: سنأخذ حرفًا من كل اسم، حرف «ت» من «توفيق» و«خ» من «خليل»، و«ت» ثانية من «توفيق»، و«خ» ثانية من «خربوطلي»؛ فيصبح لقبك الجديد «تختخ» وهي تسميةٌ تناسب حجمك تمامًا.

وضحك الأصدقاء، وتنهَّد «تختخ» وهو يفكر: إنني دائمًا أقع في هذه الأسماء المضحكة بسبب سمنتي، في المدرسة يسمونني «المحشي»، وأحيانًا «لظلظ»، وهنا «تختخ». ثم نظر إلى الأصدقاء وقال: هل يمكنني الانضمام إلى نادي المغامرين، خاصةً وقد أخبرتكم عن المتشرد؟

محب: إنه ليس ناديًا، نحن الثلاثة الكبار فقط سنحاول حل اللغز.

لوزة: وأنا معكم، لا تتركوني وحدي!

تختخ: لا تتركوني، ولا تتركوها، إنها صغيرة، ولكنها ستكون مفيدةً في البحث عن الأشياء المختفية.

محب: أي أشياء مختفية؟

تختخ: لا أعرف، ولكن الألغاز فيها دائمًا أشياء مختفية!

لوزة: من فضلكم، سنضم «زنجر» أيضًا؛ فهو كلب لطيف.

وأحس «زنجر» بأنه أصبح عضوًا أيضًا، فأخذ يهز ذيله.

محب: لا بأس، سنتعاون جميعًا في حل اللغز.

لوزة: نحن المغامرون الخمسة والكلب «زنجر».

وضحك الجميع، واتفقوا على اختيار «محب» رئيسًا.

وقال «محب»: سنلتقي في الثانية بعد الظهر لنتناقش كيف نجمع الأدلة!

الاجتماع الأول

في الثانية تمامًا، اجتمع المغامرون الخمسة، ومعهم «زنجر» في حديقة منزل «عاطف»، فقال «عاطف» في بداية الاجتماع: ستكون هذه الحديقة هي مَقَرُّنا الدائم؛ حيث لا يسمعنا أحد.

محب: سأضع أمامكم كل الحقائق المتعلقة باحتراق الكشك الذي كان الأستاذ «حنبلي» يستعمله كمخزنٍ لأوراقه الهامة. أُولى الحقائق أن هناك فاعلًا قام بهذا الحريق، ثانيًا: أن الأستاذ «حنبلي» كان في القاهرة وقتها، ثالثًا: لقد قرر المغامرون الخمسة الوصول إلى المجرم، أليس هذا صحيحًا؟

ورد الجميع في صوت واحد: صحيح.

محب: ولكي نصل إلى المجرم، علينا أن نعرف من الذي كان قرب الكشك في ذلك المساء، وأمامنا المتشرد الذي رآه «تختخ»، كما يجب أن نتحدث إلى «فاطمة» الطباخة.

نوسة: إنني أعتقد أن هناك خلافًا بين الفاعل والأستاذ «حنبلي».

محب: هذه نقطةٌ هامَّةٌ يا «نوسة»، ويجب أن نعرف من الذي يحقد على الأستاذ «حنبلي».

عاطف: أعتقد أن هناك مائة شخصٍ على الأقل يحقدون عليه؛ فهو رجلٌ سيئ الطبع، سريع الغضب والانفعال.

تختخ: المهم أن نعثر على أدلَّةٍ كافيةٍ تدين الفاعل.

وقالت «لوزة» التي أعجبتها كلمة «أدلة»: ما معنى «أذلة»؟

عاطف: وبعد يا «لوزة»، إنها أدلة وليست أذلة.

لوزة، وهي تحاول نطق الكلمة بطريقةٍ صحيحة: وما معنى أدلة؟

محب: إنها الأشياء التي تدلُّنا على ما نريد معرفته. مثلًا إذا أردت أن تعرفي إذا كان والدكِ قد عاد إلى المنزل، فوجود حذائه في مكانه دليل على عودته إليه.

لوزة: فهمت، وسوف أجد لكم أكوامًا من الأذلة، أقصد الأدلة.

محب: يجب الالتفات إلى كل دليل، ومنها آثار الأقدام حول الكشك المحترق.

وضحك «تختخ» وهو يقول: ولكن حول الكوخ آلاف الأقدام يا «محب».

محب وقد احمرَّ وجهه: لا بأس؛ فقد نجد آثار أقدام متميزة.

عاطف: وينبغي أن نخفي عن الشاويش «فرقع» أننا نحاول حل اللغز.

نوسة: طبعًا؛ فهو سعيدٌ لأنه يقوم لأول مرةٍ في حياته بحلِّ لغزٍ مثير!

عاطف: من أين نبدأ؟

محب: بالبحث عن المتشرد، والحديث إلى الطبَّاخة، ومتابعة آثار الأقدام في الحديقة.

واتفق الأصدقاء على البدء بآثار الأقدام.

وصل الأصدقاء إلى الحديقة التي كانت محاطة بسور من الشجيرات الكثيفة، فوجدوا فتحة في السور تسلَّلوا منها، وكانت مفاجأة لهم أن وجدوا بالقرب من الفتحة حفرة عميقة موحلة، وكانت هناك آثار أقدام لشخص نزل إلى الحفرة من ناحيةٍ وخرج من ناحيةٍ أخرى، ولما كانت الحفرة مغطاة بالشجيرات تقريبًا، فقد كان من الممكن لشخصٍ أن يختفي فيها.

وترك الأصدقاء آثار الأقدام الكثيرة الأخرى، وركَّزوا انتباههم على الآثار التي في الحفرة.

كانت الآثار لحذاء رجل بنعل من المطاط بها نقوش متقاطعة، وتابع «محب» و«عاطف» الآثار فأوصلتهما إلى حارةٍ ضيقةٍ خلف الحديقة، ثم اختفَت.

وأطلق «تختخ» صفارة خافتة، فأسرع الجميع إليه، فوجدوه يشير إلى قطعة قماشٍ صغيرة رمادية اللون، قد اشتبكت بالسور قرب الحفرة، وأسرع «عاطف» بنزع قطعة القماش، ووضعها في علبة كبريت، قائلًا: إننا أذكى من الشاويش «فرقع»؛ فقد عثرنا على دليلَيْن هامَّيْن.

فقال «تختخ» متباهيًا: إنني أنا الذي وجدت قطعة القماش، وذلك يعود إلى حدة بصري وذكائي معًا.

فصاح «محب»: اسكت، لقد كانت مجرد مصادفة.

فقال «تختخ»: على أي حال سأقدم مساعدة أخرى؛ لأنني سأرسم لكم آثار الأقدام قبل أن تضيع.

لوزة: إنني الوحيدة التي لم تعثر على «ذليل»!

تختخ: إن «زنجر» لم يعثر على شيءٍ هو الآخر فلا تحزني، وسوف تعثرين على دليل خطير.

وقرر الأصدقاء ترك المكان، فتسلَّل «تختخ» أولًا من فتحة السور ليحضر ورقًا وقلمًا للرسم، ولم تمضِ ثوانٍ على خروجه حتى ارتفع صوت خشن من طرف الحديقة صائحًا: ماذا تفعلون هنا؟

كان الشاويش «فرقع» هو المتحدِّث، فرد «محب» في ثبات: إننا نبحث عن خمسة قروش فضية سقطَتْ مني هنا!

الشاويش: طبعًا فقدتها أمس، عندما حضرت وحشرت نفسك فيما لا يعنيك، هكذا كل الأولاد مُتعِبون، مُزعِجون، مُقرِفون ... فرقع من هنا أنت وهو! هيا، فعندي عمل هام.

لوزة: هل تبحث عن «أذلة»؟

وقبل أن تُكمل جملتها، كان «عاطف» قد قرصها في ذراعها حتى كادت تصرخ.

من هو حامد؟

اجتمع المغامرون الخمسة و«زنجر» في حديقة «عاطف» في صباح اليوم التالي … وكان «تختخ» قد أحضر معه ورقة عليها رسم متقن بالحجم الطبيعي لنعل الحذاء المطاط، بنقوشها المتقاطعة.

وقال «تختخ» متفاخرًا وهو يقدم الرسم للأصدقاء: رسم ممتاز … أليس كذلك؟ إنني رسَّام عظيم.

وانتهز «محب» و«عاطف» الفرصة، وأطلقا على «تختخ» دشًّا باردًا من النكت حتى احمرَّ وجهه خجلًا، ولكن «لوزة» تدخَّلت لوقف الحملة قبل أن ينسحب «تختخ» غاضبًا، وقالت: إنه مجرد «هزار» يا «تختخ»، إنما الرسم ممتاز فعلًا، أتمنَّى أن أرسم مثله.

وقال «محب» وهو يُخرج من جيبه دفترًا صغيرًا: لقد سجَّلت هنا كل ما عثرنا عليه من أدلَّة.

وبعد أن راجعها مع الأصدقاء، أخذ الرسم من «تختخ»، وأعطاه لـ «عاطف» وطلب منه أن يُخفيَ الرسم والدفتر وقطعة القماش في فتحة بجوار الحديقة.

واتفق الأصدقاء على أن تذهب «نوسة» و«عاطف» لمقابلة «فاطمة» الطباخة، وأن يذهب «تختخ» و«محب» لمقابلة سائق الأستاذ «حنبلي» فقالت «لوزة»: وأنا، ألست مغامرةً أنا أيضًا. أليس لي عمل؟

محب: خذي «زنجر» واذهبا في نزهة.

فردَّت «لوزة» في سعادة: طبعًا أستطيع القيام بهذه المهمة، وقد أحصل على «دليل» أيضًا.

واتجه «محب» و«تختخ» ناحية منزل الأستاذ «حنبلي» وكان «الجاراج» بجانب المنزل فلمَّا اقتربا منه سمعا صوت شخصٍ يُغني ومياهًا تتساقط فهمس «محب»: إن السائق

يغسل العربة، ويمكننا أن نسأله عن شخص وهمي، ثم نعرض عليه المساعدة في غسل العربة، وسوف يرحب طبعًا.

وتقدم «محب» من السيارة قائلًا: صباح الخير، إنك تقود سيارة مدهشة.

السائق: فعلًا، فهي من ماركة «رولز رويس» أغلى سيارة في العالم.

محب: هل عندك مانع أن نساعدك في غسلها؟ إنني أساعد أبي.

السائق: لا بأس، وشكرًا مقدمًا.

ولم تمضِ دقيقة حتى كان الولدان والسائق مشتركين في العمل وفي الحديث عن الحريق فقال السائق: كان عملًا مفزعًا هذا الحريق، والناس تقول: إنه عمل مُدبَّر قام به شخصٌ يريد الانتقام من الأستاذ «حنبلي» …

محب: وهل تعرف أحدًا على خلافٍ مع الأستاذ؟

السائق: إن «حامد» سكرتير الأستاذ هو آخر شخصٍ رأيته يتشاجر معه، وقد طرده من العمل صباح يوم الحادث.

محب: ولماذا طرده الأستاذ؟

السائق: لقد لاحظ الأستاذ أن «حامد» يستعمل ملابسه؛ لأنهما متماثلان في الحجم تقريبًا، فقامت بينهما خناقة ضخمة، انتهَتْ بطرد «حامد».

محب: وهل كان «حامد» ثائرًا لهذا التصرُّف؟

السائق: طبعًا، وقد حضر عندي، وقال إن الأستاذ يستحقُّ علقةً لأنه يُسيء معاملة الناس، ثم انصرف في الحادية عشرة صباحًا عائدًا إلى والدته.

وأخذ الولدان يُفكِّران في «حامد»، وقد بدا لهما أنه الشخص الذي أشعل الحريق انتقامًا من «حنبلي». وفجأةً انطلق صوتٌ كالرعد من النافذة صائحًا: عبده، ألم تنتهِ من تنظيف السيارة؟ هل أدفع لك مرتبك لله!

وتبادَلَ الصديقان والسائق تحيةً سريعة، ثم أسرعا بالانصراف وقال «تختخ»: أعتقد أن «حامد» هو الذي فعلها، وستكون هذه المعلومات مفاجأةً لـ «عاطف» و«نوسة».

فاطمة الطباخة تتحدث

وبينما كان «محب» و«تختخ» يستدرجان السائق للحصول على هذه المعلومات، كان «عاطف» و«نوسة» قد وصلا إلى الجانب الآخر من الحديقة لمقابلة الطبَّاخة «فاطمة». وأخذا يفكِّران في طريقةٍ لدخول المطبخ والحديث معها، عندما ارتفع مواء قطةٍ فوق شجرةٍ في الحديقة، ونظر الصديقان، فإذا قطة صغيرة تقف على غصن الشجرة حائرة لا تستطيع النزول. فأسرع «عاطف» بتسلُّق الشجرة، وأمسك بالقطة وناولها لـ «نوسة» التي قالت: أعتقد أنها قطة الطبَّاخة «فاطمة» وستكون سببًا معقولًا لدخول المطبخ والحديث معها.

وتقدَّما إلى باب المطبخ، فوجدا فتاةً تكنس، وصوت «فاطمة» الطبَّاخة يأتي من الداخل مدويًّا: لا تتركي ورقةً واحدةً في الصالة يا «عيوشة»، إنكِ دائمًا مهملة.

وعندما رأَتْ «عيوشة» الصديقين صاحَتْ: خالتي «فاطمة» لقد عادَت القطة!

وظهرت الطبَّاخة السمينة عند الباب، فمدَّ «عاطف» يده بالقطة قائلًا: هل هذه قطتك؟

وأسرعت الطباخة الطيبة تضم القطة إلى صدرها قائلة: أين كانت هذه العفريتة؟

ثم رفعت صوتها ونادَتْ: «بسبوسة» ... «بسبوسة» ... لقد عادت ابنتكِ الصغيرة.

وظهرت قطة ضخمة، وأخذَتْ تلحس القطة الصغيرة في شوق.

وشكرت «فاطمة» الصديقين، وقدمت لهما شراب «التمر هندي» البارد، وسألتهما عن سكنهما فقال «عاطف»: إننا نسكن في الشارع المجاور وقد شاهدنا الحريق الذي شبَّ هنا.

وتركت «فاطمة» الفطيرة التي كانت تعجنها وهزَّت رأسها في أسفٍ قائلة: لقد كانت صدمةً فظيعة، وساعتها أحسستُ أنني سأقع لو لمسني أحد.

ونظر الصديقان إلى الطبَّاخة السمينة، وكان واضحًا أنه ليست هناك قوة تستطيع إيقاع الطباخة التي تُشبه شجرة الجميز.

وانشغلت «نوسة» بملاعبة القطط، في حين وقف «عاطف» يستمع في اهتمام، ومضَت الطباخة في حديثها، وقد سرَّها وجود «سميعة»: عندما شممتُ رائحة الدخان، ظننتُ أن الطبيخ قد شاط، ولكن لم يكن هناك طبيخٌ في تلك الساعة، فنظرتُ من النافذة، ورأيت النار.

وعادَتْ تهزُّ رأسها، ثم استأنفت حديثها: لقد كان يومًا سيئًا من أوله؛ فقد تركنا الأستاذ «حامد» بعد خناقة، ثم قامت خناقة أخرى بين الأستاذ «حنبلي» والأستاذ «عتيق»، ثم طرد الأستاذ المتشرد الذي كان يحاول سرقة البيض، ثم تمَّت المصائب بذلك الحريق!

كانت «نوسة» قد تركت القطط، ووقفَتْ مع «عاطف» يستمعان إلى هذه المعلومات الهامة، وسأل «عاطف»: من هو الأستاذ «حامد»؟

وردَّت الطباخة: لقد كان سكرتيرًا للأستاذ «حنبلي»، وكان شخصًا سيئًا ولا أستبعد أن يكون له صلةٌ بالحريق!

وهنا، تدخَّلت «عيوشة» التي ظلَّتْ تستمع صامتةً طول الوقت قائلة: لقد كان الأستاذ «حامد» رجلًا طيبًا، ولا يمكن أن يرتكبَ مثل هذه الجريمة، ولو سألتموني رأيي، فأنا أعتقد أن الأستاذ «عتيق» هو الذي فعلها.

سأل «عاطف» مندهشًا: «عتيق»؟ اسمه «عتيق»؟

وردَّت «فاطمة»: نعم، وهو اسمٌ على مسمى؛ فهو يلبس ملابس قديمة، وحذاء باليًا، ولكنهم يقولون إنه عالم عظيم في المخطوطات والكتب القديمة.

عاطف: ولكن لماذا تشاجر مع الأستاذ «حنبلي»؟

فاطمة: الله أعلم، فهما صديقان، وعالمان، ولكنهما لا يتفقان على رأي، وقد تشاجرا في ذلك اليوم، وخرج الأستاذ «عتيق» غاضبًا وأغلق خلفه الباب بعنفٍ اهتزَّتْ له الأطباق في مطبخي، ولكن لا تُصدِّق ما قالته «عيوشة»؛ فهو لا يستطيع إشعال عود كبريت، إن الذي فعلها هو «حامد».

والتفتت «فاطمة» إلى «عيوشة» وطلبَتْ منها أن تستمرَّ في الكنس، عندما حاولَتْ «عيوشة» الدفاع عن «حامد»، وشعر الصديقان بالعطف على الفتاة المسكينة.

عاد «عاطف» إلى الحديث فسأل «فاطمة»: متى رأى الأستاذ «حنبلي» المتشرد وهو يسرق البيض؟

فاطمة: في الصباح، وكان المتشرد قد جاء إلى المطبخ، فطردته، وأظنه دار حول الحديقة، ثم دخل عشة الدجاج ليسرق البيض، حيث شاهده الأستاذ «حنبلي»، وطرده، وهدَّده بإحضار رجال الشرطة للقبض عليه.

عاطف: هل يمكن أن يكون المتشرد هو الذي أحرق الكوخ؟

فاطمة: ممكن، فكثيرًا ما سرق من مطبخي قطع اللحم، وأرغفة الخبز، ورجل له مثل هذه الأخلاق، يمكن أن يُقدم على مثل هذه الجريمة!

وارتفع صوت غاضب من مكانٍ ما من المنزل، ودخلت القطة «بسبوسة» منفوشة الشعر فقالت «فاطمة»: إنه الأستاذ «حنبلي»، ويبدو أن تعثَّر في «بسبوسة»، فثارت ثائرته كالمعتاد!

واقتحم الأستاذ «حنبلي» باب المطبخ، وأخذ يصيح في وجه الطباخة: لماذا تحتفظين بمثل هذه المخلوقات القذرة هنا؟ سوف أغرقها إذا بقيَتْ في منزلي.

فردَّت «فاطمة»: إذا أغرقتها تركت العمل فورًا.

وتنبَّه «حنبلي» إلى وجود «عاطف» و«نوسة»، فعاود الصياح قائلًا: من هذا الطفلان؟ اطلبي منهما الانصراف فورًا، ولا تملئي مطبخكِ بالأولاد المتعبين والقطط الشريرة.

ثم خرج كما دخل ثائرًا فتمتمت «فاطمة»: إنك تستحقُّ ما حدث لك، ولولا أن الكشك احترق، لأحرقته بيدي.

وقال «عاطف» وهو يستعدُّ للانصراف مع «نوسة»: شكرًا لكِ على ما قُلتِهِ لنا يا ست «فاطمة» ... لقد كان مسليًا للغاية.

وودَّعت «فاطمة» الصديقين، بعد أن منحَتْ كلًّا منهما قطعةً من الفطير المشلتت الساخن. فلما أصبحا في الطريق قال «عاطف»: لقد حصلنا على معلوماتٍ هامة، ومن الواضح أن هناك ثلاثة أشخاص يمكن أن يكون أحدهم هو الذي أحرق الكوخ، وإذا كانت معاملة الأستاذ «حنبلي» للآخرين بهذه الطريقة الفظيعة، فلا شك أن هناك مائة شخصٍ على الأقل يتمنون الانتقام منه.

موقف مثير

التقى الأصدقاء الأربعة في حديقة منزل «عاطف»، ولم تكن «لوزة» قد عادت هي والكلب «زنجر». وتبادل الأصدقاء المعلومات، فاتضح أن عندهم أربعة أشخاص يمكن أن يكون أي واحدٍ منهم هو الذي أحرق الكشك. وهؤلاء الأربعة هم: «المتشرد» و«حامد» و«عتيق» و«فاطمة» الطباخة.

قال «محب»: إن المشكلة معقدة، واللغز غامض، ولا أدري كيف نحلُّه، وهناك أشخاص آخرون يمكن اتهامهم.

تختخ: أقترح أن نتتبع تحركات كلٍّ من الأربعة المشتبه فيهم، ونستبعد من نتأكد أنه لم يكن في مكان الحادث ساعة وقوعه.

عاطف: وأنا أقترح أن نبدأ بالمتشرد، فلنبحث عنه، ونعرف إذا كان يرتدي حذاء من المطاط ذا نعل منقوشة أم لا.

محب: ولكن كيف نعثر عليه؟

ولم يكد «محب» ينتهي من جملته، حتى سمعوا نباح الكلب «زنجر» فأدركوا أن «لوزة» قد عادَتْ. وعندما أصبحت بينهم بدأ «محب» يروي لها ما حدث، ويشرح ما حصلوا عليه من معلومات، ولكن «لوزة» لم تكن تستمع إليهم، كانت عيناها تلمعان، وخداها أحمرين من الجري، فقاطعت «محب» قائلة بانفعال: لقد عثرت على «ذليل» ... «ذليل».

محب: أي «ذليل»، أقصد أي دليل؟

لوزة: لقد وجدت المتشرد ... أليس ذلك أكبر «ذليل»؟

صاح الأصدقاء في نفس واحد: صحيح يا «لوزة»! وجدت المتشرد؟

لوزة: نعم وجدته.

تختخ: وكيف عرفت أنه المتشرد المقصود؟

لوزة: إن الأوصاف التي قلتها لنا، تنطبق عليه؛ فهو يرتدي معطفًا أصفر قديمًا، وطاقية ممزقة.

تختخ: بالضبط، هذا هو المتشرِّد الذي نبحث عنه.

ووصفت «لوزة» للأصدقاء كيف وجدت المتشرد، وأين، وقالت إن «زنجر» هو الذي وجده.

وأثنى الأصدقاء على «لوزة» ووصفوها بأنها مغامرةٌ عظيمة، وقرروا أن يتجهوا فورًا إلى مكانه.

وبعد أن غادروا المساكن، ووصلوا إلى آخر «المعادي»، قادتهم «لوزة» إلى تلٍّ من الرمال كان المتشرِّد ينام بجواره فتسلَّل «تختخ» على أطراف أصابعه، واقترب من المتشرد، وتفحصه جيدًا، ثم عاد إلى الأصدقاء مسرعًا وقال: إنه فعلًا المتشرد الذي رأيته في الحديقة تلك الليلة، ولكنه يطوي قدميه تحته، ولا يمكننا أن نعرف نوع حذائه إلا إذا دفعناه إلى المشي.

وقرر «محب» أن يقوم بهذه المحاولة. فأخذ يزحف حتى اقترب من المتشرد تمامًا، ثم انحنى على الأرض، وقرَّب وجهه من قدمي المتشرد ليرى الحذاء، وفي تلك اللحظة فتح المتشرد عينيه، ونظر إلى «محب» في دهشة قائلًا: ماذا حدث لك؟ هل عضك ثعبان؟

وقفز «محب» واقفًا، فاستمر المتشرد يقول: هل ظننت أنني رجل من العالم الآخر؟ ابتعد عني فإنني أكره أمثالك ممن يتدخلون في حياة الناس.

وعاد المتشرد إلى نومه كأن شيئًا لم يحدث، وكاد «محب» أن ينحني مرةً أخرى ليرى الحذاء، عندما سمع صفيرًا خافتًا، فأدرك أن شخصًا قادمًا، فعاد مسرعًا إلى أصدقائه فقال له «تختخ»: الشاويش «فرقع» قادم.

وأسرع الأصدقاء يختبئون في الناحية الأخرى من التل، يراقبون الشاويش الذي اتجه رأسًا إلى المتشرد، وأخرج رسمًا من جيبه لنعل الحذاء فقال «تختخ» بصوت هامس: إن مع الشاويش رسمًا مثل رسمي، إنه أذكى مما كنا نتصور.

وانحنى «فرقع» كما فعل «محب» ليشاهد نعل حذاء المتشرد، وكانت مفاجأة ثانية للمتشرد الذي فتح عينيه أن يجد الشاويش منحنيًا أمامه، فقفز في رعب صائحًا: ماذا حدث في هذه الدنيا، ماذا تفعل يا سيدي الشاويش؟

وردَّ «فرقع» في ضيق: أريد أن أرى نعل حذائك …

فأسرع المتشرد يحاول خلع حذائه، وقال للشاويش في دهشة: تفضل، تفرج على كل شيء فيه، وإذا أعجبك فخذه لأنه ضيقٌ عليَّ.

وشعر الشاويش بالخجل، فوضع الرسم في جيبه، وقال: لا داعي لذلك، ومن الأفضل أن تأتي معي.

وشعر المتشرد بالخوف، وبدلًا من أن ينطلق مع الشاويش، أطلق ساقيه للريح جاريًا بسرعة لم تكن متوقعةً من عجوزٍ مثله، فأسرع «فرقع» يُطارده. وفي هذه اللحظة سقطت طوبة كان «تختخ» يقف عليها فوقع على الأرض محدثًا صوتًا عاليًا، فتوقَّف «فرقع» عن الجري، ونظر حوله فرأى الأولاد جميعًا فصاح: ماذا تفعلون هنا؟ هل تتجسَّسون عليَّ؟

وكان الأولاد قد أسرعوا يُحيطون بـ «تختخ» الذي أخذ يتأوَّه، فأسرع الشاويش إليه، ولم يكد يمد يده عليه حتى قال «تختخ» متألِّمًا: لا تلمسني، لقد كُسرت ساقي اليسرى، وذراعي اليمنى، وانخلعت أكتافي …

صرخت «لوزة» في فزع، وأسرع «زنجر» يُهاجم الشاويش الذي صاح في جنون: هرب المتشرد بسببكم، ثم يهاجمني هذا الكلب الشرس، ماذا أفعل الآن بكم؟

وانحنى الشاويش على «تختخ» فتأكد أن إصاباته كلها بعض خدوشٍ بسيطة، فصاح بالأولاد: هيا فرقعوا من هنا، لقد أضعتم جهدي وتعبي.

ثم انصرف متضايقًا غاضبًا، بعد أن فقد الأمل في مطاردة المتشرد.

أخذ «تختخ» يتأوَّه من جديدٍ قائلًا في مسْكَنة: اذهبوا بي إلى البيت، لقد أُصبْتُ بإصاباتٍ فظيعة.

وأسرعت «نوسة» و«لوزة» بمساعدته على الوقوف، وانطلق «محب» و«عاطف» مسرعين في الاتجاه الذي اختفى فيه المتشرد لعلهما يعثران عليه.

اتفاق مع المتشرد

لم يبتعد المتشرد كثيرًا؛ فقد تعب من الجري سريعًا، وهكذا استطاع الصديقان العثور عليه بعد أن سألا أحد الأشخاص. ولم يكد المتشرد يرى الصديقَيْن حتى صاح غاضبًا: ماذا تريدان مني؟ ابعدا عني.

فقال «محب»: هل تصيح في وجهنا يا لص البيض؟

المتشرد: إنني رجلٌ شريفٌ لم أسرق شيئًا من الأستاذ «حنبلي»!

محب: ماذا كنت تفعل إذن في الحديقة؟

المتشرد: لم أفعل شيئًا، إنني فقط شاهدت أشياء غريبة.

ومدَّ المتشرد ساقه، ونظر الصديقان إلى قاع حذائه في انفعال، ولكن النعل كانت ممزقة ومثقوبة، ولم تكن من المطاط فقال «محب» هامسًا: ليس المتشرد هو الشخص الذي اختبأ في الحفرة، كما أن ملابسه ليست رمادية أيضًا.

وقال «المتشرد» للصديقين: ماذا يعجبكما في حذائي؟ إنه مخرق ويؤلم قدمي، ومن الأفضل لكما أن تبحثا لي عن حذاء مناسب، ثم قولا للأستاذ «حنبلي» ألَّا يصيح في وجهي مرةً أخرى؛ فقد رأيت ليلة الحريق أشياء كثيرةً وخاصة منه هو…

ونظر «محب» في ساعته، وكانت ساعة الغداء قد حانَتْ، وخشي أن يُغضب والده، فوعد المتشرد بأن يبحث له عن حذاء، واتفق معه على الحضور في اليوم التالي، ثم انصرف الصديقان.

وفي المساء اجتمع المغامرون الخمسة، وتبادلوا المعلومات التي حصل عليها كلٌّ منهم، واتفقوا على استبعاد المتشرد من قائمة المشتبه فيهم، ووافق «عاطف» على أن يُحضر حذاءً من والده «للمتشرد». ثم قسَّموا العمل بينهم. فاتجه «محب» و«عاطف» و«نوسة» إلى منزل الأستاذ «حنبلي» لمقابلة «فاطمة» الطبَّاخة مرةً أخرى، وبقيَ «تختخ» و«لوزة» معًا.

رسالة من عيوشة

وفي الطريق قال «محب»: يجب أن نتأكَّد من أن الست «فاطمة» لم تحرق الكشك، إنني أشعر أنها لا يمكن أن تفعل هذا، ولكن في أعمال البحث والمغامرات يجب استعمال العقل، لا العواطف.

وعندما وصل الأصدقاء إلى منزل «حنبلي»، كانت «عيوشة» تجلس وحدها على باب المطبخ، وقد بدا أنها كانت تبكي فسألها «محب» عن الطباخة فقالت إنها داخل البيت فعاد يسألها:

محب: هل كنتِ يا «عيوشة» موجودةً ساعة الحريق؟

عيوشة: نعم، وماذا يهمك أنت؟

ودهش «محب» لردِّها الجاف، وقبل أن يعاودا الحديث ظهرت الست «فاطمة» ورحبت بالأطفال، وجلسوا يتحدثون، واستطاع «محب» أن يحوِّل الحديث إلى ليلة الحريق، فتنهدت «فاطمة» قائلة: لولا مرض الروماتزم اللعين، لاستطعت عمل شيء، ولكن المرض أقعدني في ذلك اليوم، فلم أستطع الحركة إلا بعد أن دمَّر الحريق الكشك.

محب: وهل تعرفين أين يسكن «حامد»؟

وأخذت «فاطمة» تهز رأسها محاولةً تذكر العنوان، ثم قالت: إنني كثيرة النسيان، ومع هذا دعوني أتذكر «حامد» ... «حامد» آه ... لقد تذكرت ... وحبس الأولاد أنفاسهم، ولكن قبل أن تذكر «فاطمة» العنوان، سمعوا صوت أقدام ثقيلة خارج المطبخ، ثم دخل الشاويش «فرقع»، واتجه إلى حيث تجلس «فاطمة» دون أن ينظر إلى الأطفال وقال: صباح الخير يا خالة «فاطمة»، لقد رويتِ لي كل شيء يتعلق بالحريق، لكن هناك شيئًا أُحبُّ أن أسألك عنه، ما هو عنوان «حامد»؟

عادت «فاطمة» تهز رأسها متعجبةً ثم قالت: شيء غريب يا حضرة الشاويش، لقد كنت أحاول تذكر العنوان الآن؛ فهؤلاء الأولاد يريدون معرفته أيضًا!

التفت «الشاويش» إلى الأولاد غاضبًا وقال: أنتم هنا أيضًا، هيا «فرقع» أنت وهو من هنا!

وانسحب الأصدقاء وقد غلبهم اليأس، فلو استطاع الشاويش أن يعرف العنوان الآن، فسوف يسبقهم إلى «حامد».

وعندما كادوا يغادرون الحديقة، سمعوا صوت «عيوشة» تناديهم، فاتجهوا إليها، وقالت الفتاة المسكينة وهي تبكي: أرجوكم أن تذهبوا للأستاذ «حامد»، وقولوا له أن يأخذ حذره؛ فالناس كلهم يتهمونه بإشعال الحريق، والشاويش يطارده، وأنا متأكدة أنه رجل طيب القلب؛ فهو قريبي.

قال «محب» مسرعًا: نحن على استعداد لحمل الرسالة، ولكن ما هو عنوان «حامد»؟ هل تعرفينه؟

ووضحت «عيوشة» للأصدقاء عنوان «حامد»، ثم أسرعت إلى المطبخ ملبيةً نداء «فاطمة».

حامد يتحدث

وذهب الأصدقاء الثلاثة إلى حديقة «عاطف» حيث التقوا ب «تختخ» و«لوزة» و«زنجر»، وروى «محب» بسرعة ما حدث في مطبخ «فاطمة»، وكيف حصلوا على عنوان «حامد» ثم قال: سوف أذهب أنا و«نوسة» و«عاطف» لمقابلة «حامد»، وعلى «تختخ» و«لوزة» و«زنجر» البحث عن عنوان الأستاذ «عتيق».

وانصرف «محب» مسرعًا، يتبعه «عاطف» و«نوسة» حيث أحضر كلٌّ منهم دراجته؛ فقد كان منزل «حامد» بعيدًا.

وفي الطريق قال «عاطف»: لقد خرج اثنان من دائرة الشبهات، هما المتشرد والطبَّاخة «فاطمة»، وبقيَ اثنان، هما «حامد» و«عتيق».

وبعد حوالي ربع ساعةٍ وصل الأصدقاء إلى منزل «حامد»، واتفقوا على أن يتقدم «عاطف» ويطلب كوبًا من الماء من أهل البيت، ليكون هذا سببًا للحديث والسؤال عن «حامد».

ودخل الأصدقاء المنزل، فالتقوا بسيدة عجوز، رحبت بهم، وقدمت لهم ما طلبوه. ثم سألتهم من أين جاءوا، فلما عرفت عنوانهم قالت: لقد كان ولدي يعمل في هذا المكان، عند الأستاذ «حنبلي» هل تعرفونه؟

محب: نعم، وقد كنا عند منزله عندما شب الحريق في الكشك الذي بالحديقة.

السيدة: حريق! أي حريق؟ إنني لم أسمع عنه مطلقًا، في أي يوم كان هذا الحريق؟

محب: يوم الخميس؟

السيدة: يوم الخميس؟ إنه نفس اليوم الذي ترك فيه «حامد» العمل عند الأستاذ «حنبلي»، وقد تركني بعد الغداء وخرج، ولم يعد إلا بعد العشاء.

وتبادل الأصدقاء النظرات؛ فهذا يعني أن «حامد» عاد إلى منزل «حنبلي» حيث اختفى في الحفرة، ثم أشعل النار، وعاد إلى منزله.

وأخذ «محب» يفكر في طريقة لمعرفة نوع الأحذية التي يستعملها «حامد»، وفي هذه اللحظة دخل «حامد» فحيا الأطفال وسألهم: ماذا تفعلون هنا؟

نوسة: كنا نتنزه على دراجاتنا، وأصابنا العطش فدخلنا لنشرب.

الأم: إنهم يسكنون قريبًا من منزل الأستاذ «حنبلي».

حامد: هل تعرفونه؟ إنه رجل سيئ الطبع، كنت أعمل عنده ثم تركت العمل بسبب سوء معاملته.

عاطف: لقد شبَّ حريق في كشك الحديقة، في اليوم الذي تركت العمل فيه.

حامد: وكيف عرفتم أنني تركت العمل في ذلك اليوم؟

عاطف: أخبرتنا والدتك، ولكنها لا تعرف شيئًا عن الحريق.

حامد: على كل حال، إنه يستحق ما حدث له، وإنني أتمنى أن أرى النار تلتهم كل ما يملك.

نوسة: وهل كنت هناك ساعة الحريق؟

حامد: ليس مهمًّا لكِ أن تعرفي.

وفي أثناء الحديث، كان «محب» يدور حول «حامد» لعله يجد تمزيقًا في ثوبه الرمادي، فالتفت إليه حامد قائلًا: ماذا تفعل؟ إنك تدور حولي كالنحلة.

وأسرع «محب» يعتذر قائلًا: آسف، لقد كنت أنتظر حتى تنهي حديثك لأنقل إليك رسالةً من «عيوشة»، إنها تقول لك: خذ حذرك.

ثم التفت «محب» إلى «عاطف» و«نوسة» قائلًا: هيا بنا.

وخرج الأصدقاء بعد أن ألقوا بالتحية على الأم وابنها، وانطلقوا مسرعين.

وفي الطريق أخذوا يتبادلون الحديث، واتفقوا على أن «حامد» يمكن أن يكون الشخص الذي أشعل الحريق، برغم عدم وجود أي تمزقٍ في ثوبه الرمادي، وقرروا أن يحاولوا مقابلة الأستاذ «عتيق» باعتباره من المشتبه فيهم.

وبينما «محب» يدور بدراجته حول قمة شارع ضيق، إذا به يصدم شخصًا لم يره، فسقط الرجل على الأرض، وهو يسب ويشتم، وعندما نظر إليه الأصدقاء … كانت مفاجأة؛ إنه الشاويش … وقبل أن يمدَّ يده إليهم انطلقوا مسرعين.

عودة المتشرد

وصل الأصدقاء إلى حديقة منزل «عاطف» — حيث اعتادوا أن يلتقوا — في السابعة مساء. والتقوا بـ «لوزة» التي كانت قلقة عليهم، أما «تختخ» فكان يجلس وحده يتأوه وقد شغلَتْه إصاباته البسيطة عن كل شيء.

وروى الأصدقاء ما تم في منزل «حامد»، وجاء الدور على «لوزة» فقالت: لقد عثرت على عنوان الأستاذ «عتيق»، كانت مسألة بسيطة فقد وجدته في دفتر التليفون، وذهبت فقابلت شقيقته التي ترعى منزله، فقالت لي إنه عالم عظيم في المخطوطات القديمة، خاصة أوراق البردي التي تركها الفراعنة.

قال «محب»: إن الأدلة التي عثرنا عليها، وهي قطعة القماش الرمادية، وآثار الحذاء لم تساعدنا كثيرًا، ويجب أن نجد وسيلةً لمعرفة صاحب الحذاء ذي النعل المطاط، وهو إما «حامد» أو «عتيق» بعد أن استبعدنا «المتشرد» و«فاطمة» الطباخة من قائمة المشتبه فيهم.

وبينما هم يتحدثون صفر المتشرد، ودخل متسللًا من باب الحديقة فرآه «عاطف» وناداه، فقال «المتشرد»: أبعدوا الكلب عني، هل أحضرتم الحذاء؟

أشار «عاطف» إلى الحذاء الذي أحضره بعد استئذان والدته، فمدَّ المتشرد يده ليأخذ الحذاء قائلًا: حذاء غالٍ سوف يناسبني بكل تأكيد.

وقبل أن تصل يد المتشرد للحذاء قال «عاطف»: انتظر لحظة، أريدك أن تجيب عن بعض الأسئلة، هل رأيت أحدًا يختبئ في حديقة الأستاذ «حنبلي» ليلة الحريق؟

المتشرد: نعم رأيت شخصًا مختفيًا بين الشجيرات.

محب: هل تعرفه؟

المتشرد بعد تردد: نعم، إنه الأستاذ «حامد»، وكان يهمس لشخص آخر مختبئ معه، ولم أتبينه.

وقبل أن يوجه الأصدقاء إلى المتشرد أسئلة أخرى، كان قد ارتدى الحذاء الجديد مسرورًا، وانطلق مسرعًا، وبرغم أن الحذاء كان واسعًا قليلًا فإنه كان مريحًا. وقد حاول «زنجر» أن يتبع المتشرد، ولكن «تختخ» أمسكه بشدة، فأخذ ينبح في ضيق.

قال «محب» بعد فترة صمت: إن الشبهات تحيط بـ «حامد» تمامًا، ولكن من هو الشخص الذي كان معه في الحديقة؟ هل كان الأستاذ «عتيق»؟ على كل حال سوف أذهب أنا و«نوسة» لمقابلته.

وكان منزل الأستاذ «عتيق» قريبًا، فوصل «محب» و«نوسة» بعد دقائق قليلة، وقذف «محب» بكرته داخل حديقة «عتيق»، ثم دخل هو و«نوسة» متظاهرين بالبحث عنها.

ولحسن الحظ، كان «عتيق» يقف في نافذة مكتبته غاضبًا، فقد طارت إحدى أوراقه الثمينة من النافذة إلى الحديقة، وكانت فرصة؛ فقد أمسك «محب» بالورقة، وحملها إليه قائلًا: هل هي ورقة هامة يا أستاذ؟

عتيق: هامة جدًّا؛ لأنها قديمة جدًّا، ولكن عندي أقدم منها.

محب: وهل نستطيع مشاهدتها يا أستاذ؟

عتيق: تفضلا، ويسرني أن أجد من يهتم بهذه المخطوطات مثلي.

وأسرع «محب» و«نوسة» بالدخول، ولكنهما التقيا في الصالة بالسيدة العجوز «مبروكة» أخت الأستاذ «عتيق» فكادت تمنعهما ولكن «محب» قال لها: لقد دعانا الأستاذ «عتيق».

قالت «مبروكة» في دهشة: مدهش، لقد قاطع الناس جميعًا؛ فقد تشاجر مع الأستاذ «حنبلي» ... مسكين «عتيق»، إنه كثير النسيان، وعصبي أحيانًا، ولكنه لا يؤذي أحدًا أبدًا.

نوسة: هل شاهد الأستاذ «عتيق» الحريق الذي شبَّ في كشك الأستاذ «حنبلي»؟

مبروكة: لقد خرج لنزهته المعتادة في المساء، ولكنه عاد قبل اكتشاف الحريق.

ونظر «محب» إلى «نوسة»، وفكر كلاهما في نفس الفكرة؛ فقد خرج «عتيق» وأشعل النار ثم عاد قبل أن يكتشفها أحد.

ودخل «محب» إلى مكتبة الأستاذ «عتيق»، الذي رحَّب به، وأخذ يُلقي عليه محاضرةً في أهمية المخطوطات، وظل «محب» يستمع في صبرٍ ثم قال: ولكن لماذا يا أستاذ تشاجرْتَ مع الأستاذ «حنبلي»، وهو عالمٌ مثلك؟

عتيق: إنه رجل شديد الذكاء، ولكنه سريع الغضب، ولا يحب أن يعارضه أحد.

أما «نوسة» فقد وجدت نفسها وحيدةً في الصالة، وأمامها الدولاب الذي يضع فيه الأستاذ «عتيق» أحذيته، فوجدتها فرصةً مناسبةً للبحث في الدولاب، لعلها تجد الحذاء ذا النعل المطاط المنقوشة.

وفتحت «نوسة» الدولاب، وأخذت تبحث بسرعة، ولكنها لم تجد أي حذاء له نعل مطاط، وكادت أن تَيْئس ولكنها أخيرًا وجدت حذاء له نعل مطاط، وأسرعت تنظر إلى النقوش التي في النعل ... هل هي نفس النقوش التي كانت في الحفرة، والتي رسمها «تختخ»؟ ... ولم تستطع «نوسة» التأكد، وكان الوقت يمضي سريعًا، وخشيت أن يراها أحد، فلم تجد حلًّا إلا أن تضع الحذاء في صدرها تحت «البلوزة»، ثم لحقت بـ «محب» حيث وجدت الأستاذ «عتيق» ما زال يُلقي محاضرته، ونظر «محب» إلى صدر «نوسة» وكاد يسألها عن سبب هذا الانتفاخ المفاجئ، ولكن نظرة منها أسكتته.

وأنهى الأستاذ «عتيق» محاضرته قائلًا: إن المخطوطات التي ضاعَتْ في الحريق نادرة، صحيح أن «حنبلي» قد أمَّن عليها، وسوف يحصل على آلاف الجنيهات قيمة التأمين، ولكن ما قيمة النقود بجانب المخطوطات؟

وأنهى الصديقان المقابلة، وخرجا إلى الطريق، فأخرجت «نوسة» فردة الحذاء وناولتها لـ «محب» الذي صاح: مدهش علينا أن نُسرع بالعودة لمقارنتها بالرسم.

المفاجأة المثيرة

التقى الأصدقاء في حديقة «عاطف»، فعرض عليهم «محب» فردة حذاء الأستاذ «عتيق» فأكدوا جميعًا أنها تحمل نفس النقوش التي كانت في الحفرة، ولكن «لوزة» هزَّت رأسها قائلة: إنكم مخطئون، إنها ليست نفس النقوش.

وتضايق الأصدقاء لهذه الملاحظة، وأسرع «عاطف» بإحضار الرسم الذي رسمه «تختخ» لآثار الحذاء، وكانت صدمة لهم أن وجدوها تختلف عن نعل حذاء الأستاذ «عتيق».

فقال «محب»: أهنيكِ يا «لوزة»، إن ذاكرتكِ قوية حقًّا. والآن علينا أن نستعرض الموقف ونرى ما سنفعل بعد ذلك، إنني لا أستبعد أن يكون «حامد» و«عتيق» قد اتفقا على إحراق الكوخ، فإن المتشرد رأى «حامد» يتحدث إلى شخصٍ في الحديقة، لعله كان «عتيق»، وعلينا الآن أن نردَّ للأستاذ «عتيق» فردة الحذاء، ثم نقابل «عيوشة» لنعرف لماذا حذرت «حامد»!

عاطف: اتفقنا، وبالمناسبة كيف حالك الآن يا «تختخ»؟

تختخ: على ما يرام، وسوف أريكم الإصابات حالًا.

محب: لا وقت الآن لرؤية أي شيء، هيا بنا لمقابلة «عيوشة».

وأسرع الجميع لمقابلة «عيوشة»، وكانت فرصة طيبة أن وجدوها وحدها في المطبخ.

وسألتهم «عيوشة»: هل أبلغتم رسالتي إلى «حامد»؟

محب: نعم، ولكن لماذا هذا التحذير؟

عيوشة: سأقول لكم، ولكن أرجوكم ألَّا تخبروا أحدًا.

محب: نعدك بهذا!

عيوشة: إن «حامد» لم يشعل الحريق؛ فقد كنت معه منذ الساعة السابعة إلى العاشرة ليلتها.

محب: ولماذا كنتِ معه؟ وماذا كنتما تفعلان؟

عيوشة: لقد طلب مساعدتي له في أخذ ملابسه؛ لأن الأستاذ «حنبلي» عندما طرده، لم يجد وقتًا لأخذ الملابس، فعاد في المساء قبل حضور الأستاذ «حنبلي»، ففتحت له باب المطبخ ليدخل منه، ولكن ما كاد يدخل حتى دخلت «فاطمة» الطبَّاخة، فأسرعنا نختبئ في الحديقة، وظللنا هناك حتى خرجت «فاطمة»، فأسرعت أفتح له إحدى النوافذ، فقفز منها إلى الداخل حيث أحضر ملابسه، ثم عاد حيث كنت أنتظره في الحديقة فشكرني ثم غادر المكان.

محب: دون أن يُشعل الحريق؟

عيوشة: دون أن يُشعل شيئًا على الإطلاق.

وهكذا اتضح للأصدقاء أن الشخص الذي كان مع «حامد» في الحديقة، كما روى المتشرد، هو «عيوشة»، فقال «محب»: شكرًا لكِ يا «عيوشة»، ولكن ألم تشاهدي شخصًا آخر يدخل الحديقة في ذلك المساء؟

عيوشة: نعم، رأيت الأستاذ «عتيق».

قالت «لوزة» منفعلة: إذن فالأستاذ «عتيق» هو الذي أشعل النار، فقد اتضح لنا الآن أنه ليس المتشرد، ولا «حامد»، ولا «عيوشة»، ولا «فاطمة». لم يبقَ إلا «عتيق».

تختخ: نعم، «عتيق» هو الذي أشعل النار.

وانصرف الأصدقاء بعد هذه المفاجآت، واتفقوا على أن يقوم «محب» و«تختخ» بإعادة فردة الحذاء إلى منزل الأستاذ «عتيق» ليلًا. والبحث عن الحذاء الذي كان يرتديه «عتيق» ليلة الحريق.

انتظر «تختخ» حتى صارت الساعة التاسعة، وهو الموعد المتفق عليه للذهاب إلى منزل «عتيق»، فحمل فردة الحذاء، وانطلق إلى هناك، وكان «محب» ينتظره في مكانٍ قريبٍ ليأتي عندما يطلق له «تختخ» إشارة بأن لا أحد يراقبهما.

مر «تختخ» أمام منزل «عتيق» ولما تأكد أن لا أحد يراقبه أطلق إشارة التحذير وهي تقليدٌ لنعيق البومة: «أووو ... أووو.»

ولم يكد «تختخ» يطلق الصيحة حتى كانت يد غليظة قد امتدَّتْ وأطبقَتْ عليه، وكانت يد الشاويش «فرقع».

أطلق الشاويش ضوء مصباحه القوي على «تختخ» فشاهد فردة الحذاء في يده فسأله في خشونة: ما هذا؟

تختخ: فردة حذاء، كما ترى.

الشاويش: وماذا تفعل بها هنا؟

تختخ: لا أعرف، لقد أعطاها لي شخص ما و... اتركني، فأنا لم أرتكب خطأً!

وقلب الشاويش فردة الحذاء، ورأى النعل، فأدرك أنه عثر على دليلٍ هامٍّ وقال لـ «تختخ» في تهديد: قل لي حالًا، من أين أتيت به، وحذاء من هذا؟

ولكن «تختخ» بدلًا من أن يجيب عن السؤال، استجمع قوته كلها، وثنى جسمه، وأفلت من يد الشاويش، وأسرع يجري في الظلام واختفى.

دار «تختخ» حول المنزل، ثم استجمع أنفاسه المتقطعة وصاح مقلِّدًا البومة: «أووو ... أووو.»

في مصيدة الخوف

ولم يكد «تختخ» ينتهي من صيحته، حتى امتدَّتْ يدٌ أخرى في الظلام، فسدَّتْ فمه، وقبل أن يسقط على الأرض من فرط الخوف والفزع سمع «محب» يقول له: اسكت، هل أحضرت الحذاء؟

وشرح «تختخ» لـ «محب» ما حدث، ففكر «محب» قليلًا ثم قال: لن نعود دون أن نحصل على الحذاء المطلوب من منزل الأستاذ «عتيق».

دخل الصديقان من نافذة الصالة، وأسرع «محب» إلى المكتبة حيث ظن أن «عتيق» يُخفي الحذاء الذي كان يلبسه يوم الحريق، في حين وقف «تختخ» في الصالة، فرأى الدولاب الذي أخذت منه «نوسة» الفردة الضائعة، فتقدم وفتح الدولاب وأخذ يبحث، ولم تمضِ لحظات حتى شاهد «تختخ» الأستاذ «عتيق» يعبر الصالة ويدخل المكتبة فأدرك أن «محب» قد وقع؛ لأنه لم يُنذره في الوقت المناسب.

ولم يكد الأستاذ «عتيق» يضيء الغرفة، وتقع عينه على «محب» حتى صاح: النجدة ... النجدة ... لصوص ... لصوص.

أسرعت «مبروكة» فزعة عندما سمعَتْ صوت «عتيق» فشاهدَتْه يسحب «محب» ويصعد به إلى غرفةٍ في الدور الثاني حيث أغلق عليه بابها.

عاد الأستاذ «عتيق» إلى الصالة مستنجدًا، فإذا بمفاجأةٍ أخرى في انتظاره، لقد وجد «تختخ» يقفز من باب الدولاب جاريًا إلى فوق لينقذ صديقه.

أسرع «عتيق» خلف «تختخ»، واستطاع أن يلحق به، ففاجأه «تختخ» بالجلوس فجأة على السلم، فوقع «عتيق» عليه.

أخذ «تختخ» يتأوَّه: آه يا راسي ... آه يا ظهري لقد تكسرت عظامي كلها.

أسرعت «مبروكة» وهي لا تكاد تصدق عينيها إلى «تختخ» الذي تظاهر بأنه سيموت.

واضطر «عتيق» أمام منظر «تختخ» أن ينسى ما حدث، وينحني عليه ليساعده في حين كانت «مبروكة» تؤنِّبه قائلة: هل هؤلاء هم اللصوص الذين قلبْتَ الدنيا صياحًا من أجلهم، ألَا تخجل من نفسك؟

عتيق: إنني ... لم ... أقصد ... إصابته ... إنني ...

ولكن «مبروكة» صاحت: اصعد فورًا، وأطلق سراح الولد الآخر.

ونفَّذ «عتيق» تعليمات «مبروكة»، وأطلق سراح «محب»، ولما وقف الصديقان أمامه سألهما: أريد فقط أن أعرف، ماذا دفعكما لدخول مسكني في الظلام؟

ردَّ «محب» بصراحة: الحقيقة، كنا نريد أن نعرف ماذا كنت تفعل في حديقة الأستاذ «حنبلي» ليلة الحريق! لقد قال لنا «حامد» إنه رآك هناك.

عتيق: لقد ذهبت لإحضار بعض مخطوطاتٍ كان «حنبلي» قد استعارها مني، وقد أحضرتها وهي عندي هنا، وقد شاهدتها بنفسك هذا الصباح.

برهان آخر

استمر الأستاذ «عتيق» يشرح تفاصيل زيارته لمنزل «حنبلي» ليلة الحريق، وكان واضحًا من حديثه أنه لم يُشعل شيئًا ... فقال «محب» خجلًا: معذرة يا أستاذ «عتيق» ... وبالمناسبة لقد أخذنا فردة حذائك هذا الصباح لنقارنها بالآثار التي كانت في الحديقة، وقد انتهت الحكاية بوصول الفردة إلى الشاويش.

عتيق: يا للمصيبة، هل وصل حذائي للشرطة! لقد أدركت الآن لماذا ظل الشاويش طول النهار يدور حول مسكني.

انصرف «محب» و«تختخ» وذهب كلٌّ منهما إلى مسكنه؛ فقد كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلًا.

وفي الصباح التقى الأصدقاء الخمسة مرةً أخرى، فشرح «محب» ما حدث ثم قال: لقد اتضح الآن أن أي واحدٍ ممن اشتبهنا فيهم لم يُشعل الحريق، لا «حامد» ولا المتشرد، ولا «عتيق» ولا «فاطمة» ولا «عيوشة»، ولكن لا بد أن هناك من أشعله ... فمن هو؟

تختخ: أقترح أن نعود مرةً أخرى إلى الحديقة، لعلنا نعثر على أدلَّةٍ أخرى.

انطلق الأصدقاء إلى الحديقة، ووقفوا حول الحفرة، وكانت آثار نعل الحذاء المنقوشة ما زالت موجودةً، فأخذوا ينظرون إليها، وفجأةً قالت «لوزة»: هل لاحظتم ما لاحظت؟ إن آثار الأقدام تُبيِّن أن من كان في الحفرة قد جاء من المنزل أولًا ثم نزل في الحفرة، ثم خرج منها، واتجه إلى الحقول.

تختخ: إنها ملاحظةٌ ذكية، ولكني تعبت من هذا اللغز، ومن الأفضل أن نُريح أدمغتنا قليلًا، ونخرج في نزهة.

ووافق الأصدقاء، وذهبوا لإحضار دراجاتهم، عدا «لوزة» التي فضَّلت أن تخرج مع «زنجر» في نزهةٍ وحدهما وكانت السماء قد أمطرت ليلًا، وهو شيء نادر الحدوث في شهر

سبتمبر، وخرجت «لوزة» إلى الحقول المحيطة «بالمعادي» ومعها كرة، أخذت تُطوِّح بها بعيدًا، فيذهب «زنجر» لإحضارها. وذات مرة وهي تنحني لإحضار الكرة كان في انتظارها مفاجأة ... لقد رأتْ آثار نعلٍ من المطاط المنقوشة تنطبق تمامًا على الآثار التي في الحفرة في حديقة الأستاذ «حنبلي» ... الآثار التي تعبوا كثيرًا لمعرفة صاحبها؛ فخفق قلبها بشدةٍ وأخذت «لوزة» تتحدث إلى «زنجر» وهي منفعلة: هل ترى يا «زنجر»؟ إنها الآثار التي نبحث عن صاحبها منذ أيام، لقد أمطرت السماء أمس ليلًا ومعنى هذا أن هذه الآثار جديدة ... فماذا نفعل؟

نظر «زنجر» إلى «لوزة» وهز ذيله ثم تقدم يشمُّ الآثار، وينطلق ليتتبعها فقالت «لوزة»: فكرة طيبة يا «زنجر» سنتبع الآثار.

كانت رائحة الآثار قد علقت تمامًا بأنف «زنجر» فلم يجد صعوبةً في تتبُّعها بسرعةٍ حتى في الأماكن الجافَّة التي كانت تختفي فيها. لقد سار صاحب الآثار فترةً طويلةً حتى اقترب من شريط السكة الحديد، ثم عاد مرة أخرى ... إلى منزل الأستاذ «حنبلي».

كانت مفاجأة للفتاة الصغيرة، فوقفَتْ حائرة أمام باب الأستاذ «حنبلي» تسأل نفسها: لماذا دخل هنا؟ وفجأةً فُتح الباب وظهر الأستاذ «حنبلي» فبدَتْ عليه الدهشة لوجود «لوزة» أمام بابه؛ فسألها في خشونة: ماذا تفعلين هنا؟

ردَّت «لوزة» مرتبكة: معذرة يا سيدي ... لقد كنت أتبع هذه الآثار فقادتني إلى باب منزلك، إنها مهمة لنا جدًّا!

حنبلي: أنتم، من أنتم؟ وما أهمية هذه الآثار لكم؟

لوزة: نحن المغامرون الخمسة، وهذه الآثار لحذاء الشخص الذي أحرق الكشك في تلك الليلة، وسوف نُمسكه.

قال «حنبلي» وهو يتظاهر بالظرف: من الأفضل أن تدخلي، ولكن اتركي هذا الكلب خارجًا.

لوزة: لا أستطيع، وإذا تركناه، فلن يكفَّ عن ضرب الباب بقدميه.

ودخلت «لوزة» ودخل الكلب خلفها، وجلس الجميع فقال «حنبلي» بصوتٍ حاول أن يجعله مرحًا: والآن أيتها الفتاة الظريفة أخبريني ما هي الحكاية بالضبط؟

وروَتْ «لوزة» للأستاذ «حنبلي» كل شيءٍ عن المغامرين الخمسة، «والأذلة» والآثار، ولم تنسَ شيئًا مطلقًا، ثم سألته في النهاية: والآن قل لي أين الرجل الذي دخل مسكنك هذا الصباح، ويلبس حذاء من المطاط؟

رد «حنبلي» ببطء: لقد زارني شخصان اليوم، الأستاذ «عتيق» لاستعارة كتب، و«حامد» يرجوني لأعيده إلى عمله.

لوزة: إذن فواحد منهما هو الذي أحرق الكشك، وأرجو ألَّا تخبر أحدًا بما قلت لك يا أستاذ «حنبلي» أبدًا.

حنبلي: أعدكِ بذلك، وأتمنى أن تنجحوا في معرفة الفاعل، حتى أستطيع الانتقام منه.

خرجَتْ «لوزة» فنظرت إلى الآثار مرة أخرى، ثم أسرعت إلى الحديقة تنتظر عودة الأصدقاء وهي تفكر: هل كان من الخطأ أن تخبر «حنبلي» بكل ما حدث؟

ولم يكد الأصدقاء يَصِلون حتى أسرعت «لوزة» تروي لهم ما فعلته، وهم يستمعون إليها في دهشةٍ وإعجاب، ولم تكد تنتهي من حديثها حتى ظهر أمامهم في الحديقة شخصان، والدة «عاطف» والشاويش «فرقع».

وتقدمت والدة «عاطف» من الأولاد وقالت في صوتٍ غاضب: ما هذا الذي أسمعه عنكم، ماذا كنتم تفعلون في منزل الأستاذ «عتيق» ليلًا؟! وأنتِ يا «لوزة» ما لكِ أنت والآثار ... والأستاذ «حنبلي»، وكل هذه الأشياء التي سمعتها؟

تساقطت دموع «لوزة» وهي تسمع والدتها وقالت: من الذي قال لكِ؟ لا أحد يعرف كل هذا إلا نحن والأستاذ «حنبلي»، إذن فهو الذي قال للشاويش.

وانتفخ الشاويش وهو يقول: نعم، لقد حدثني تليفونيًّا، وروى لي ما قلتِه له.

وزاد بكاء «لوزة» وهي تقول: إذن فقد انتشر السرُّ، لقد وعدني ولم يحافظ على وعده، إنه رجلٌ شرير ... شرير.

وأخذ الشاويش يؤنِّب الأطفال على تدخُّلهم في أعماله، ثم أنهى حديثه قائلًا: إن هذا عملي وحدي ... وحدي ... وأي تدخُّلٍ منكم في المستقبل سيعرِّضكم لمتاعب ضخمة ... جدًّا ... جدًّا.

وانصرف الشاويش والسيدة، وتركا الأطفال في ذهول. ثم انطلقت عاصفةٌ من اللوم منهم، انصبَّت على رأس «لوزة» المسكينة، واتهمها الجميع بأنها ضيَّعَت جهودهم، لكن «تختخ» الذي كان صامتًا أخذ يطيب خاطرها قائلًا: لا تحزني يا «لوزة» فكل إنسانٍ يخطئ.

وعادَت أم «عاطف» بعد أن أوصلت الشاويش، وطلبت من الأطفال أن يذهبوا فورًا للاعتذار للأستاذ «حنبلي»، وحاول الأصدقاء الرفض، ولكن السيدة أصرَّت على ما طلبت.

اكتشافات غريبة

دخل الأصدقاء إلى مكتب الأستاذ «حنبلي» حيث كان يجلس، فقال لهم متضايقًا: لماذا حضرتم؟

وأسرع «عاطف» يردُّ: لقد طلبت منَّا والدتي أن نعتذر لك.

وقبل أن يرد صاحت «لوزة»: ألم تعدني ألَّا تخبر أحدًا، لقد أخلفت وعدك.

ولم يهتم «حنبلي» بالردِّ عليهم، وسمع الجميع في تلك اللحظة صوت طائراتٍ تمر فوق المنزل، فقال «حنبلي»: إنها طائرات نفاثة، وهذه ثاني مرةٍ تمر فوق منزلي هذا الأسبوع؛ فقد شاهدتها هنا وعددتها، وكانت سبع طائرات.

وأسرع الأصدقاء إلى النافذة محاولين رؤية الطائرات إلا «تختخ» الذي وقف في مكانه، وأخذ ينظر إلى الأستاذ «حنبلي» نظراتٍ حادة.

وبعد أن غابت الطائرات، دارت ثم عادَتْ مرةً أخرى فقال «محب»: هيا إلى الخارج وسنراها أفضل ... إلى اللقاء يا أستاذ.

فرد «حنبلي»: إلى اللقاء، وأنصحكم ألَّا تتدخَّلوا في أمور الكبار، إن «حامد» هو الذي أحرق الكوخ، وسوف يلقى جزاءه، لقد جاء لزيارتي هذا الصباح، وكان يلبس حذاء من المطاط.

وعندما خرج الأصدقاء أخذوا يتبادلون الأحاديث إلا «تختخ» الذي ظل صامتًا فسألته «نوسة»: لماذا أنت ساكتٌ يا «تختخ»؟

فرد «تختخ» في صوت شارد: إنني أفكر في شيءٍ غريب جدًّا ... جدًّا ... جدًّا ...

فسأله «محب»: ما هو هذا الشيء الغريب جدًّا ... جدًّا ... جدًّا؟

قال «تختخ»: هل سمعتم ما قاله «حنبلي»؟ لقد قال إنه شاهد هذه الطائرات هذا الأسبوع وكان عددها سبعًا.

قال «محب» في ضيق: وماذا يعني هذا؟!

ورد «تختخ» في صوت بدا خطيرًا: إن هذه الطائرات جاءت المعادي في المرة الأولى يوم الحريق في الساعة الخامسة، وهو الوقت الذي زعم الأستاذ «حنبلي» من قبل أنه كان فيه في «القاهرة»، ومعنى هذا أنه كان هنا في «المعادي» ولم يكن في «القاهرة» في تلك الساعة!

سكت الأصدقاء جميعًا، وأخذوا ينظرون إلى «تختخ» في ذهول، ومرت فترة صمت طويلة قبل أن يقول «محب»: شيء غريب فعلًا ... جدًّا.

فقال «تختخ» في صوتٍ فخور: وهكذا أيها المغامرون الخمسة، عندنا شخصٌ جديد مشتبه فيه، هو الأستاذ «حنبلي» نفسه!

لوزة: ولكن هل يمكن أن يحرق «حنبلي» مخطوطاته الثمينة بيده؟

تختخ: ممكن طبعًا، فهو لم يحرقها ولكن باعها، ثم أشعل النار في بعض الأوراق ليحصل على قيمة التأمين، وهناك أشخاص لا خَلاق لهم يتصرفون بهذه الطريقة الدنيئة.

نوسة: ولكن المشكلة أننا لا نستطيع أن نخبر أحدًا بهذا أبدًا.

تختخ: المهم أن نثبت كيف استطاع «حنبلي» إقناع الناس أنه كان في «القاهرة» في حين أنه كان في «المعادي» وخاصة أن السائق أحضره من محطة «المعادي» فعلًا.

محب: تعالوا نذهب إلى المحطة لعلنا نعثر على دليل يفيدنا.

واتجه الأصدقاء إلى المحطة، فسمعوا قطارًا قادمًا من بعيد، ثم وقف في محطة «دار السلام»، وهي المحطة السابقة على محطة «المعادي»، ثم استأنف السير.

قال «محب»: لقد فهمت كل شيء، لقد خرج «حنبلي» في الرابعة عصرًا متظاهرًا بأنه ذاهبٌ إلى «القاهرة»، ودخل الحديقة دون أن يراه أحد، فاختفى في الحفرة التي بالحديقة، في انتظار فرصة مناسبة لإشعال الحريق، وهناك شاهد «حامد» و«عيوشة»، ثم «عتيق»، فانتظر حتى انصرف الجميع وأشعل النار، ثم أسرع إلى المحطة السابقة على «المعادي» وانتظر هناك فترة، ثم ركب القطار من هناك، وعاد إلى «المعادي» مرة أخرى حيث كانت سيارته في انتظاره، فركبها وعاد إلى منزله حيث تظاهر بالحزن والغضب لأن الحريق قد التهم مخطوطاته الثمينة.

وأخذ الأصدقاء يفكرون في هذا الحل، وكلما ازدادوا تفكيرًا، ازدادوا اقتناعًا بأن «حنبلي» هو الذي أشعل النار.

وأخيرًا قالت «لوزة»: إن رجلًا يخلف وعده، يمكنه أن يفعل أي شيء.

وفجأة ارتفع صوت «زنجر» فقالت «لوزة»: يبدو أن «زنجر» يطارد قطة.

وظهر الكلب الأسود، وفي فمه شيء لم يتبيَّنه الأصدقاء من بعيد، فلما اقترب «زنجر» اتضح أنه يحمل فردة حذاء أسرع يلقيها أمام «لوزة».

انحنت «لوزة» وأمسكت بفردة الحذاء وقلبتها ونظرت إلى النعل ثم صاحت في فرح: إنها فردة حذاء مطاط، وبالنعل نقوش كالتي رسمها «تختخ» عند الحفرة. وهي أيضًا نفس النقوش التي تبعتها هذا الصباح حتى مسكن الأستاذ «حنبلي».

وقال «تختخ» وهو يمسح ظهر كلبه: كلب ذكي ... لقد شم رائحة الآثار في الصباح، ولم ينسها، وقد تتبعها حتى عثر على الحذاء ... والآن يا «زنجر» هل تستطيع العثور على الفردة الأخرى؟

وفهم «زنجر» المطلوب منه، فأسرع يجري وخلفه الأصدقاء حتى وصلوا إلى مكان قرب محطة السكة الحديد وفي حفرة صغيرة وجدوا الفردة الأخرى.

صديق جديد

جلس الأصدقاء في الحديقة العامة يتناقشون، وأخذ «محب» يلخص كل الحوادث التي مضت حتى العثور على الحذاء فقال: وعندما علم «حنبلي» أننا نتبع الآثار، أسرع بإخفاء الحذاء بعيدًا عن المنزل، ولكن «زنجر» استطاع العثور عليه، إن عندنا كل الأدلة، ولكننا لا نستطيع أن نخبر أحدًا، خاصة الشاويش «فرقع».

وسمع الأصدقاء حركة خلفهم فالتفتوا إليها، فرأوا رجلًا أنيقًا كان يقرأ في جريدة خلفهم دون أن يتنبهوا له. التفت الرجل إليهم وحيَّاهم ثم قال: معذرة، فقد سمعت حديثكم كله، وعرفت كل شيء، وأنا تقريبًا مغامر مثلكم، وأحب أن أنضم إليكم للقبض على المجرم.

كان الرجل ضخمًا، ومنظره يبعث على الثقة، فرد له الأصدقاء التحية وبدءوا يتحدثون معًا.

قال الرجل: أحب أن أسمع القصة مرةً أخرى من البداية إلى النهاية فمن منكم يستطيع أن يرويها لي؟

قال «محب»: إنني رئيس المغامرين الخمسة، وسأروي لك كل شيء بالتفصيل.

وأخذ «محب» يروي الحكاية من بدايتها، والرجل ينظر إليهم في إعجاب ومحبة، وعندما وصل «محب» في حكايته إلى قصة الطائرات، وكيف كشف «حنبلي» نفسه بما قال، التفت الرجل الضخم إلى «تختخ» قائلًا: يا لك من ولدٍ ذكي.

وانتهى «محب» من الحكاية كلها فقال الرجل: عمل عظيم، وإنني سعيدٌ بالتعرف على المغامرين الخمسة والكلب «زنجر»، وأعتقد أنني أستطيع مساعدتكم قليلًا.

فقال «محب»: كيف؟

الرجل: أولًا لا بد من إبلاغ الشرطة بكل شيء.

محب: ولكن الشاويش «فرقع» أقصد الشاويش «علي» لن يصدق كلمة مما نقول.

وضحك الرجل الضخم وقال: الشاويش «فرقع» ... ها ... ها ... اسم لطيف ... لا تحملوا هم الشاويش، وكل ما عليكم أن تحضروا غدًا في الساعة العاشرة إلى قسم الشرطة، ودعوا الباقي لي.

نهاية اللغز

وفي العاشرة صباحًا كان الأصدقاء الخمسة وكلبهم «زنجر» أمام قسم الشرطة. وكانت معهم كل الأدلة التي حصلوا عليها … قطعة القماش الرمادية ورسم آثار الحذاء، والحذاء نفسه.

قال «محب»: إن الدليل الوحيد الذي لم نستفد منه هو قطعة القماش الرمادية.

وفي تلك اللحظة ظهر الشاويش، فانتظر الأصدقاء أن يصيح بهم كالمعتاد: فرقع أنت وهو من هنا. ولكن كانت دهشتهم شديدة حين تحدث إليهم في أدبٍ شديد، وطلب منهم دخول القسم فقال «محب»: إننا ننتظر صديقًا لنا.

قال الشاويش في أدب: نعم، وسوف يحضر حالًا.

ووصلت سيارة صغيرة إلى باب القسم، وظن الأصدقاء أن الرجل الضخم فيها ولكن نزل منها ضابط شرطة.

ثم وصلت سيارة أخرى كبيرة فاخرة، فوقف كل رجال الشرطة … الجنود … والضباط احترامًا لراكبها، ونزل الراكب … فإذا هو صديقهم، وسمعوا الضابط يقول: لقد حضر مفتش المباحث الجنائية.

وشعر الأصدقاء بسرورٍ بالغ، فصديقهم رجل هام جدًّا. وأسرعوا إليه فاستقبلهم بتحيةٍ حارة، ثم دخلوا معه إلى القسم.

جلس الأصدقاء بجوار المفتش «سامي»، وبعد قليلٍ دخل وكيل النيابة فتبادل مع المفتش بعض الحديث، ثم قال المفتش للأصدقاء: لقد فهمت كل شيء، وأنتم الذين استطعتم معرفة حل هذا اللغز، فالأستاذ «حنبلي» كان يريد الحصول على قيمة التأمين، واختار يومًا تشاجر فيه مع عددٍ كبيرٍ من الناس ليلقي بالشبهة عليهم، ولكنكم استطعتم كشف خطته، وإنني أهنئكم، وأعتقد أن الشاويش «علي» عنده نفس الشعور.

ورد الشاويش «فرقع» قائلًا: فعلًا.

فقال «محب»: إننا نقدِّر الشاويش «علي» والجهود التي يبذلها للمحافظة على الأمن.

ورد الشاويش بكلمة شكر، وإن كان يشعر بالضيق؛ لأنهم سبقوه إلى حل اللغز.

قال المفتش: سأذهب الآن لاستجواب «حنبلي» والقبض عليه، فهل تحبون أن أوصلكم في السيارة إلى منازلكم.

ووافق الأصدقاء شاكرين، وركبوا السيارة الكبيرة وهم غاية في السعادة، والناس جميعًا ينظرون إليهم في إعجاب.

وفي الطريق قال «عاطف»: إننا نرجوك أن تتحدث إلى والدتنا، فسوف تحترم ما تقوله عنا.

ردَّ المفتش: إن هذا يُسعدني فأنتم أولاد أذكياء، ولكني سأذهب أولًا إلى منزل الأستاذ «حنبلي» ثم أعود إليكم.

وانتظر الأصدقاء في الحديقة، وبعد نصف ساعة تقريبًا عاد المفتش، فاستقبلوه بفرحٍ شديدٍ وسألوه عن «حنبلي» فقال: لقد اعترف بعد أن وضحت له كل الأدلة، وهو الآن في طريقه إلى السجن.

وجاءَتْ والدة «عاطف» تحمل الشاي للمفتش، فحيَّاها وقال: إنني أتقدم بالشكر لهؤلاء الأولاد الأذكياء على المساعدة الهامة التي قدموها لنا.

ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: وسيسرني أن ألتقي بالمغامرين الخمسة وكلبهم «زنجر» دائمًا.

قالت «لوزة»: ولكن يا سيدي، هناك «ذليل» لم نعرف صاحبه حتى الآن، إنه قطعة القماش الرمادية.

ضحك المفتش، وهو يضع يده على كتف «محب» قائلًا: إنَّ هذه القطعة الرمادية من ثوب الصديق «محب».

وأدار «محب» جسمه، فظهر تمزيق في الركن الأسفل من بنطلونه.

وابتسم المفتش وهو يقول: الحمد لله أنكم لم تلاحظوا ذلك، وإلا وضعتم «محب» في قائمة المشتبه فيهم.

ووقف المفتش، ونظر الأولاد إليه في إعجابٍ وقالت «نوسة»: ولكن كيف عثرنا على قطعة القماش في السور القريب من الحفرة؟

فرد «المفتش»: لأن «محب» كان أول من دخل من فتحة السور، فتمزق بنطلونه وتعلقت قطعة القماش حتى عثر عليها «تختخ».

ودَّع الأصدقاء المفتش، ثم عادوا إلى الحديقة فقالت «نوسة»: يا له من أسبوع حافل بالمغامرات، لقد حللنا اللغز، وبهذا ينتهي دور المغامرين الخمسة.

رد «تختخ»: سيظل المغامرون الخمسة وكلبهم يؤدُّون واجبهم، فسوف تظهر ألغازٌ أخرى كثيرة، وما علينا إلا الانتظار.

إنهم ينتظرون ... وسوف يعترض طريقهم لغز آخر بلا شك.

ولكن — طبعًا — سوف تكون هذه قصة أخرى.


هنداوي